

Texte 6 – Proposition de corrigé

وَبِمَا إِنِّي بَدَأْتُ بِالْأَمْرِ فَلَا أزالُ يا سَيِّدِي أَطْلَعُكَ عَلَى أَخْبَارِي. فَإِنَّ أَبْلَغَ مِنَ الشُّهْرَةِ نَصْفَ مَقْدَارِهَا، فَهَذَا مِنْ أَقَلِّ الْأَشْيَاءِ مُلَاءَمَةً لِي. وَبِمَا أَنَّ أخطائي لَمْ تَبْدُدْ تَقْدِيرَكَ إِيَّايَ فَلَا أَفْتَرِضُ أَنَّ صِرَاحَتِي قَدْ تَبَدَّدَهُ. يَبْدُو أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَجْتَمَعَ فِي طَبَعِ وَاحِدٍ رُوحَ كَسُولَةٍ تَفْرَعُ مِنْ أَدْنَى عِنَايَةٍ وَمَزَاجِ نَشِيطٍ وَصَفْرَاوِي وَسَرِيعِ التَّأثيرِ بِكُلِّ مَا يُوْثِرُهُ، وَذَلِكَ بِشَكْلِ مُفْرَطٍ، غَيْرَ أَنَّ هَذَيْنِ الْمُتَنَاقِضَيْنِ يُوْلِفَانِ قَرَارَةَ طَبَعِي. وَذَلِكَ التَّنَاقُضُ مُوجُودٌ حَقِيقَةً عَلَى أَنِّي لَا أَسْتَطِيعُ حَلَّهُ بِوَسِيطَةِ مَبَادِيءٍ، فَإِنِّي أَحْسُ بِهِ، وَلَا شَيْءَ أَثَبَّتَ مِنْ هَذَا. وَمِنْ خِلالِ الْوَقَائِعِ بِمَقْدُورِي إِيرَادِ نَوْعًا مِنَ الْقَائِمَةِ الْمُؤرَّخَةِ مِنْ شَأْنِهَا أَنَّ تَصَوُّرَهُ.

لَقَدْ تَمَتَّعْتُ فِي صِبَايَ بِكَمِّ وَافرٍ مِنَ النَّشاطِ، لَكِنْ لَيْسَ قَطُّ عَلَى غِرَارِ طِفْلِ سِوَايَ. فَجَعَلَنِي التَّبَرُّمُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَنْصَرَفُ إِلَى الْمُطالعةِ، وَذَلِكَ مِنْذُ نِعْمَةِ أَظْفَارِي. وَعِنْدَ بُلُوغِي السَّابِعَةَ مِنْ عُمُرِي وَقَعَ بِلُوطَرِخَسُ بَيْنَ يَدَيَّ، وَفِي التَّاسِعَةِ حَفَظْتَهُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ. كُنْتُ قَدْ قَرَأْتُ كُلَّ الرِّوَايَاتِ، مِمَّا جَعَلَ عَيْنَايَ تَذْرِفَانِ دُمُوعًا غَزِيرَةً وَسَخِيَةً، وَذَلِكَ قَبْلَ أَلْسِنِ اللَّيْلِ فِيهَا يُولَعُ الْقَلْبُ بِالرِّوَايَاتِ. مِنْ هُنَا تَشَكَّلَ فِي قَلْبِي الذَّوْقُ البَطْوِيُّ وَالمُتَعَلِّقُ بِالرِّوَايَاتِ، ذَوْقٌ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ اتَّسَعَ إِلَى الْآنَ جَعَلَنِي فِي نِهَايَةِ الْمَطَافِ أَنْفَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَارِجِ عَمِّ يُشْبِهُ رِعُونَاتِي. فَفِي صِبَايَ حَيْثُ خَلَاهَا ظَنَنْتُ أَنَّهُ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ أَجِدَ الْأَشْخَاصَ ذَاتَهُمُ الَّذِينَ عَرَفْتَهُمْ فِي كِتَابِي، كُنْتُ أَنَا جِي بَدُونَ تَحْفُظُ كُلَّ مَنْ فَرَضَ هَيْبَتَهُ عَلَيَّ مِنْ خِلالِ اسْتِخدامِ لُغَةٍ أَصْطِلَاحِيَّةٍ مُعِينَةٍ لَطالَمَا عَشَّتْنِي. كُنْتُ نَشِيطًا لِأَنِّي كُنْتُ مَجْنُونًا. وَكَلَّمَا رَجَعْتُ عَنْ خَطِّي غَيْرْتُ مِنْ أَذْوَاقِ وَمَصَادِرِ تَعَلُّقِ وَمَشَارِيعِ، وَعِنْدَ كُلِّ تَغْيِيرٍ اسْتَهْلَكْتُ مَشَقَّتِي وَوَقْتِي بِسَبَبِ بَحْثِي عَنْ شَيْءٍ لَمْ يَكُنْ مُوجُودًا. وَعِنْدَ إِدْرَاكِي مَرَحَلَةَ التَّجَرِبَةِ الْمُتَقَنَّةِ فَقَدْتُ نَوْعًا مَا كُلِّ أَمَلٍ فِي إِيجادِهِ، وَبِالتَّالِيِ الْهَمَّةُ فِي البَحْثِ عَنْهُ. فَشَعَرْتُ بِالْأَزْدِرَاءِ تَجَاهَ الْعَصْرِ الَّذِي أَعِيشُ فِيهِ وَإِزَاءَ أَبْنَاءِ جِيلِي، وَذَلِكَ مِنَ الشُّعُورِ بِالسُّخْطِ الَّذِي شَعَرْتَهُ عِنْدَ إِدْرَاكِي حَالَاتٍ مِنَ الإِجْحَافِ وَعِنْدَ مُشَاهَدَتِي مُشَاهِدَ ظُلْمِ بَاطِنِ عَيْنِي، وَغالبًا مِمَّا شَعَرْتُ بِهِ مِنْ كَرَبٍ عِنْدَ الاضْطِرَابِ الَّذِي مَرَّارًا دَفَعْتَنِي إِلَيْهِ الْعِبْرَةُ

وَالْمَجْرَى الطَّبِيعِيُّ لِلْأُمُورِ. وَلِشُعُورِي بِأَنِّي لَنْ أَجِدَ بَيْنَهُمْ حَالَةً تُرْضِي قَلْبِي، فَصَلْتُهُ شَيْئاً
فَشَيْئاً عَنِ مُعَاشَرَةِ النَّاسِ وَتَصَوَّرْتُ فِي مَخِيلَتِي حَالَةً أُخْرَى اسْتَهْوَيْتَنِي بِقَدْرِ مَا كَانَ بِوَسْعِي
أَنَّ أُرِيهَا بِدُونِ أَيِّ مَشَقَّةٍ وَخَطَرٍ وَمَا أَمَكَّنَنِي أَنْ أَجِدَهَا فِي وَضْعٍ آمِنٍ مِثْلَ مَا كَانَ يَنْبَغِي
أَنْ تَكُونَ عَلَيْهِ.

وَبَعْدَ أَنْ قَضَيْتُ أَرْبَعِينَ سَنَةً مِنْ عُمْرِي غَيْرَ رَاضٍ بِنَفْسِي وَبِالْآخِرِينَ سَعَيْتُ بِدُونِ
جَدْوَى أَنْ أَفْصَلَ الرُّوَابِطَ الَّتِي تَصِلُنِي بِالْمَجْتَمَعِ الَّذِي قَلَّمَا أَشْعُرُ بِالتَّقْدِيرِ نَحْوَهُ وَالَّتِي
تَرْبِطُنِي بِالْمَهَامِ الْأَقْلَى مُلَاءَمَةً لِدَوْقِي بِحَاجَاتِ ظَنَنَتَهَا حَاجَاتِ الطَّبِيعَةِ، وَهِيَ لَمْ تَكُنْ سِوَى
حَاجَاتِ عَامَّةِ النَّاسِ. وَجَهَّأْتُ الْقَتَّ صُدْفَةً سَاحِحَةً ضَوْءًا عَلَيَّ مَا كَانَ يَجِبُ عَلَيَّ أَنْ أَفْعَلَ
لِصَالِحِ نَفْسِي وَأَنْ أَفَكِّرَ فِي أَتْرَابِي مِمَّنْ كَانَ قَلْبِي دَوْمًا يُنَاقِضُ رُوحِي فِي شَأْنِهِمْ وَمِمَّنْ لَا
أَزَالُ أَحْسُ بِالْمِيُولِ إِلَى حَبِيئِهِمْ بَعْدَ مِنْ الْأَسْبَابِ يُكَافِيُ عَدَدَ الْأَسْبَابِ لِكُرْهِهِمْ.
حَبِّدَا يَا سَيِّدِي لَوْ اسْتَطَعْتُ تَصْوِيرَ تِلْكَ اللَّحْظَةِ الَّتِي حَوَّلَتْ حَيَاتِي إِلَى قَتْرَةٍ فَرِيدَةٍ
سَتَبَقِي دَائِمًا مَوْجُودَةً عِنْدَ التَّحَاقِي بِالْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ.